المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تدبر القرآن الكريم في تعظيم الله تعالى

اسم الباحث

أ.د/ حسن سيد سليمان بدوي

أ. د. حسن سيّد سليمان بدوي

تدبر القرآن الكريم في تعظيم الله تعالى

المقدمة

تتمثل أهمية موضوع الورقة في أن هناك حاجة ماسة لإعداد بحوث علمية لتأصيل قضية تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم باعتبارها قضية محورية في العقيدة الصحيحة، ولا توجد دراسات علمية كافية حول هذا الموضوع. كما أن هناك أيضا حاجة ماسة من الناحية الواقعية لإحياء روح تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- الإيمانية في نفوس أبناء الأمة الإسلامية.

ومن ثم تهدف الورقة إلىٰ تدبر آيات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ ومحبته عبر المبادئ والنماذج القرآنية المختلفة وصولا إلىٰ رضوان الله تعالىٰ. وتؤكد الورقة علىٰ أن تعظيم الله تعالىٰ ومحبته هما الأساس المتين الذي تقوم عليه كل الرسالات السماوية وختامها الإسلام الذي تميز بمعجزة القرآن الكريم الخالدة.

وتستخدم الورقة في تعظيم الله تعالىٰ المنهج التاريخي في قصص الرسل والأنبياء ودعوتهم جميعا منذ عهد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإلىٰ الرسول الخاتم محمد ﷺ إلىٰ توحيد العبادة لله تعالىٰ والابتعاد عن الشرك، وتأتي من هذه القصص الكثير من العظات والعبر. كما تعتمد الورقة أيضا علىٰ المنهج الوصفي التحليلي في تدبر آيات القرآن الكريم في تعظيم الله تعالىٰ ومحبته من خلال الجوانب القلبية والعقلية والواقعية للتأكيد علىٰ قدرات الله تعالىٰ في إبداع الخلق وفي السيادة علىٰ الكون إضافة إلىٰ عظمة الله في التشريعات المختلفة في شتىٰ المجالات مصداقا لقوله تعالىٰ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]. وأخيرًا تستخدم الورقة منهج دراسة حالة تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن الكريم وهو المصدر الأساسي لهذه الورقة.

ولتحقيق أهداف الورقة والاستفادة من المناهج البحثية يتم تقسيم الورقة إلىٰ محاور بعد التعريف بمفاهيم التعظيم في أسماء الله الحسنىٰ ممثلة في مفهوم العظمة (العظيم)، وما يتَّصل به من مفاهيم العِزَّة (العزيز)، القوَّة (القوِة)، العلم (العليم)، الحكمة (الحكيم)، الملك (مالك الملك)، السمع (السميع)، والبصر (البصير).

ويتطرق المحور الأوَّل إلىٰ العقيدة عبر دعوة القرآن الكريم إلىٰ (الصِّراط المستقيم) وتوحيد العبادة لله تعالىٰ، ومن ثم تعظيمه -عزَّ وجلَّ- من خلال معاني الإيمان والتقوىٰ والإحسان، وهو ما يمثل الجانب الوجداني.

ويتناول المحور الثَّاني في تعظيم الله تعالىٰ علم الله الواسع في صفة (العليم)، وصفة (الحكيم) للتَّأكيد علىٰ أنَّ القرآن الكريم هو كتاب علم لم تعرفه البشرية من قبل، ويخاطب العقل داعيًا إلىٰ التَّفكير والتَّعقل والتَّدبر بجانب كونه كتاب عقيدة دينية وهداية للبشرية نحو الدِّين القويم.

ويهتم المحور الثَّالث بتعظيم الله تعالىٰ من خلال إبداعات الخالق -عزَّ وجلَّ- في الكون والمخلوقات، وما سخَّره الله تعالىٰ من نعم كثيرة لحياة البشر علىٰ الأرض مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ممّا يدعو للتَّدبر في قدرات الله تعالىٰ في الخلق وتدبير أمور الدُّنيا والآخرة.

أمَّا المحور الرَّابع؛ فيركِّز في تعظيم الله تعالىٰ علىٰ الأساليب والنَّماذج التطبيقية في سلوكيات حياة النَّاس عبر التشريعات الإلهية في القرآن الكريم، وتنتهي الورقة بالمحور الخامس الذي يختصّ بتعظيم الله تعالىٰ عبر ذكر ومحبة الله تعالىٰ والسَّعي لكسب رضاه كغاية نهائية للعبور الآمن إلىٰ الدَّار الآخرة، أي: دخول الجنَّة.

وتخلص الورقة في الخاتمة إلىٰ عدد من النتائج.

التعريف بمفاهيم تعظيم الله في القرآن الكريم

تؤكِّد أسماء الله الحسنىٰ التي وردت في القرآن الكريم علىٰ صفات الكمال لله تعالىٰ في شتَّي المجالات، ويهمّنا منها صفة (التعظيم) وما يتَّصل بها من صفات تعبّر عن قدرات الله -عزَّ وجلَّ- الواسعة واللامتناهية في الخَلق وتدبير أمور الكون في الدُّنيا والآخرة، ومن ثمَّ؛ فإنَّ نقطة البداية هي صفة (العظيم) التي ترتبط بصفات العزيز والقوي والعليم والحكيم ومالك الملك والسميع والبصير.

ويتضح هذا الارتباط بصيغة الازدواجية التي تنتهي بها العديد من آيات القرآن الكريم ممثَّلة في العزيز الحكيم، العزيز العليم، العليم الحكيم، القوي العزيز، السميع البصير، السميع العليم، وهذه كلها أسماء وصفات تدعو إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ.

يرتبط مفهوم العظمة في صفة (العظيم) بمعاني الرّفيع الشَّأن والمقام، القاهر الغالب، ذو القوّة والسُّلطان، مالك الملك، ذو العِزَّة والكبرياء والجلال الذي لا شيء أعظم منه، وقد تجلَّت صفة العظمة لله تعالىٰ في آية الكرسي، وهي أعظم آية في كتاب الله تعالىٰ، كما ورد في الحديث النبوي الشَّريف[1]، حيثُ انتهت هذه الآية بصفة (العظيم).

وتؤكّد الآية علىٰ أنَّ الله تعالىٰ هو المتفرِّد بالألوهية، الحي الدَّائم الحياة، الذي لا ينام، وله وحده جميع ما في السَّموات والأرض، وله وحده الشَّفاعة والعلم، وشمل سلطانه كل شيء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة].

مفهوم العزة في صفة (العزيز) يرتبط بمعاني القوة والغلبة والقهر وبمعاني الشرف والجاه والمنعة وهذه صفات لله تعالىٰ وحده لأن العزة كلها لله تعالىٰ في الدنيا والآخرة وهو الذي يمنح العزة بفيضه وفضله لمن يشاء من عباده، وفي ذلك جاء قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. والكلم الطيب هو التَّوحيد وذكر الله والدُّعاء وتلاوة القرآن، وممّا يجدر ذكره أنَّ إبليس رغم لعنة الله له، وطرده من الرَّحمة

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠): عن أبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عن (آية الكرسي) ما معناه: أنها أعظم آية من كتاب الله تعالىٰ.

إلىٰ يوم الحساب والجزاء، فإنه أقسم بعزة الله لأغواه بني آدم أجمعين إلا عباد الله المخلصين في قوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص].

مفهوم القوة في صفة (القوي) لله تعالىٰ يعني امتلاك الله -عزَّ وجلَّ- للقوة الشاملة ولا قوة لأحد سواه، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[البقرة]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات].

ممَّا يعني أنَّ الله شديد القوّة أو المتين، وهو تأكيد لشدّة القوّة لله تعالىٰ. كذلك يرتبط مفهوم القوَّة بمشيئة الله تعالىٰ، كما جاء في قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾[الكهف: ٣٩]، ويرتبط هذا المعني بعبارة (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وهي أداة من أدوات تسبيح الله تعالىٰ.

مفهوم العلم في صفة (العليم) يعني: علم الله الواسع الذي لا حدَّ له، وأنَّه هو مصدر كلّ علم، وقد تجلَّىٰ هذا المعنىٰ عند خلق آدم في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[البقرة].

مفهوم الحكمة في صفة (الحكيم) يعني: العلم، ومعرفة أسرار القرآن، وفهم الأمور، وإصابة القول والعمل، ووضع الشَّيء في محلّه، وهي عمومًا (العلم النَّافع)، ومصدره الله تعالىٰ وحده، ويمنحه من يشاء من عباده للفوز بخيري الدُّنيا والآخرة، وما يتَّعظ بهذا العلم القرآني إلَّا أصحاب العقول السَّليمة، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة].

مفهوم الملك في صفة (مالك الملك) لله تعالىٰ يرتبط بمفهوم القوّة والغلبة والسُّلطان، وهو أيضًا كبقية الصِّفات لله تعالىٰ وحدَه الذي بيده ملك السَّموات والأرض، وهو تامّ القدرة علىٰ كلِّ شيء، لا يعجزه أمرٌ من الأمور، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[المُلك].

ومن ثمَّ؛ فإنَّ الله مالك الملك في الدُّنيا والآخرة، ويمنح الملك لمن يشاء من عباده، وله القدرة أيضًا في نزعه ممّن يشاء، ويُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران].

أخيرًا؛ فإنَّ مفهومي السَّمع والبصر في صفتي (السميع، والبصير) لله تعالىٰ هما صفتان متلازمتان، والملاحظ أنَّ صفة (السَّميع) لله -عزَّ وجلَّ- تسبق صفة (البصير) في كلِّ آيات القرآن الكريم، فالله دائمًا هو (السَّميع البصير)، كما أنَّ صفة السَّمع لا تُجمع، بينما تُجمع صفة البصر علىٰ (أبصار)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

ويقال في هذا الأمر: أنَّ السَّمع هو الحاسَّة الوحيدة التي تعمل عند ولادة الطفل، وهو أيضًا الحاسَّة الوحيدة التي لا تنام حيث تستجيب للصوت العالي أثناء النَّوم، ولذلك جاء قوله تعالىٰ حول أصحاب الكهف: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الكهف].

وفي الأخير؛ فإنَّ السَّمع هي أداة الاستدعاء عند البعث.

ومن آيات الجمع بين السَّمع والبصر لله تعالىٰ: قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء]، وقوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون لمواجهة فرعون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه].

العقيدة القرآنية في تعظيم الله تعالى:

وصف الله تعالىٰ القرآن بصفة (العظيم) في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحِجر]. والسَّبع المثاني هي آيات (سورة الفاتحة) التي تتكرَّر في كلّ ركعة، وقد وصفها الرَّسول ﷺ بأنّها أعظم سورة في القرآن(١).

وبخلاف ما حدث للتَّوراة والإنجيل، فإنَّ الله تعالىٰ قد أخبر أنّه تكفَّل بحفظ القرآن من أي تبديل أو تحريف، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر].

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلىٰ (٤٤٧٤).

وقد وصف القرآن في الآية بالذِّكر، كما وصف في آية أخرىٰ بالنُّور في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء].

ويشير البرهان إلىٰ المعجزات وأدلة التوحيد، ونزل القرآن بلغة العرب التي كانوا يعتزون بها فتحداهم بها، كما جاء مثلًا في الأحرف في أوائل عددٍ من السُّور باعتبار أنَّ آيات القرآن مكونة من الحروف العربية، ولإثبات أنّها كلام الله الذي لا يستطيع أن يجاريه أحد، ولا يستطيع أحد الإتيان ولو بسورة منه، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء].

كذلك؛ فإنَّ لغة القرآن البليغة تجعل من غير الممكن ترجمته للغات الأخرىٰ، وقد تمَّت ترجمة معانيه لكثير من اللُّغات.

هذا القرآن العظيم، وهو المعجزة الخالدة للإسلام، دعانا الله تعالىٰ لتدبر آياته عبر نعمة العقل التي خصّ بها الله تعالىٰ الإنسانَ علىٰ سائر المخلوقات، وفي ذلك جاء قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء]، وفي قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد].

وقد حدَّد لنا القرآن الكريم الطّريق القويم الواضح المستقيم، وهو طريق الإسلام إلىٰ رضوان الله والجنَّة في مصطلح (الصراط المستقيم) الذي ندعو الله تعالىٰ أن يهدينا إليه في كلّ ركعة في (سورة الفاتحة)، وجاء ذكره في عدد من الآيات، منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [آل عمران].

فهو إذًا طريق عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له، وهذه حكمة الله في الخلق: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]. كذلك وصف الله تعالىٰ الصِّراط المستقيم بالعُروة الوثقىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة].

ومن ثمَّ؛ فإنَّ الصِّراط المستقيم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتوحيد العبادة لله تعالىٰ وحده، لا شريك له، والتي تتجلَّىٰ في الأساس في (سورة الإخلاص): ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، والتي ورد في الحديث الشريف أنّها تمثل ثلث القرآن الكريم(١).

ونخلص من ذلك إلىٰ أن تعظيم الله تعالىٰ لا يتم في العقيدة القرآنية إلا بإخلاص العبادة لله، وهذا الإخلاص لا يتأتي من خلال الشعائر الشكلية بل لابد من أن ينبع من معاني الإيمان والتقوىٰ والإحسان وهي معاني ترتبط بصورة أساسية بالجانب الوجداني أي عبر القلوب الخاشعة في عبادة الله تعالىٰ.

ولا بدَّ أن نشير هنا إلىٰ أن الكون كله يعبد الله تعالىٰ، وقد وردت في ذلك العديد من الآيات القرآنية، منها علىٰ سبيل المثال: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩﴾ [النحل]، وقوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء]، وقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

وأخيرًا؛ قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١].

وتدلُّ هذه الآيات علىٰ وجود الخالق -عزَّ وجلَّ-، وقدرته علىٰ الخلق، وعلىٰ أنَّ كلَّ مخلوق يعبد الله بالطَّريقة التي ألهمه الله تعالىٰ إيَّاها، وفي ذلك تعظيمٌ لله تعالىٰ بصور مختلفة في الكون.

وقد ربط الله تعالىٰ عبادة الإنسان الخالصة لله تعالىٰ بالقلب في معاني الإيمان والتَّقوىٰ والإحسان، كما ربط القلب بالعقل وذلك خلافًا لمفاهيم الغرب التي تربط القلب بالجانب العضوي كمضخةٍ للدَّم، وبالجانب العاطفي المستقل عن العقل.

ومن الآيات القرآنية التي تربط القلب بالعقل: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج].

وقد وصف القرآن الكريم القلب بالعديد من الصِّفات كحالات المرض (بمعني الكفر أو النِّفاق)، وسلامة القلب، والاطمئنان، والطَّهارة، والقسوة، واللِّين، والخشوع، والانشراح،

(١) أخرجه والبخاري (٥٠١٣)، ومسلم (٨١١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والضيق. كذلك تبدو أهمية القلب واضحة في الحديث الشَّريف: «إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»(١)، والقلب هو مقر الإيمان والتَّقوىٰ والإحسان.

ولا شكَّ أنَّ تعظيم الله تعالىٰ يستوجب استصحاب كلّ المعاني القلبية، وهنا لا بدَّ من التمييز بين مفاهيم الإسلام والإيمان والإحسان، كما وردت في حديث جبريل مع النَّبيِّ ﷺ بحضور عدد من الصَّحابة، حيثُ تحدَّدت أركان الإسلام في هذا الحديث بخمسة أركان، وأركان الإيمان بستَّة أركان، بينما تحدد معنىٰ الإحسان بعبادة المرء لله تعالىٰ كأنَّه يراه، فالإيمان درجة أعلىٰ من الإسلام، تميِّز بين المسلم والمؤمن، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجُرات: ١٤].

فالإسلام إعلانٌ في الظَّاهر بالشَّهادتين، بينما الإيمان الصحيح في القلب، ولهذا جاء في الحديث الشَّريف: أنَّ (الإيمان ما وقر في القلب، وصدَّقه العمل)(٢). ولابد للإيمان أن تتبعه الأعمال الصالحة لبلوغ الجنة كما وردت في العديد من الآيات، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

أكدت العديد والعديد من آيات القرآن علىٰ ضرورة إتباع المؤمنين للتَّقوىٰ في كلّ جوانب الحياة المختلفة من عبادات ومعاملات. والتَّقوىٰ مثل الإيمان مقرّها في القلب حيثُ أشار الرَّسول ﷺ إلىٰ صدره عندما ذكر التَّقوىٰ قائلًا: «التقوىٰ هاهنا»، أي: في القلب وهي في الأصل الوقاية من الخوف.

وورد في الآيات معنىٰ الخوف من تبعات يوم القيامة، كم جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، كذلك؛ فإنَّ التَّقوىٰ هي وصية الله للسَّابقين واللَّاحقين في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٥١) عن الحسن البصري، والآجريُّ في (الشريعة: ٢٤١) عن سفيان الثّوريّ. وأسنده أبو عبد الرّحمن السُّلميُّ في (الأربعون للتّصوف: ٧) عن أنس بن مالك مرفوعًا، وحكم عليه الألبانيّ بالوضع في (ضعيف الجامع الصغير: ١٠٣٤٨).

وهدف التَّقوىٰ هو وقاية الإنسان من المعاصي، أي: صون الإنسان من ارتكاب الآثام، واقتراف السَّيئات، وهي التَّحرز بطاعة الله عن عقوبته[١]. وقد ارتبطت صفات المتقين في البِرِّ بالإيمان والإحسان والصّلاة والزَّكاة والوفاء بالعهد والصبر في قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبِرّ في الآية يشمل الخير الكثير الجامع للإيمان والأعمال الصَّالحة، ويؤدِّي إلىٰ التَّقوىٰ في العبادات والمعاملات، حيث نجد ارتباطه في الآيات القرآنية بالصَّلاة والصَّوم والزَّكاة والحجِّ من جانب، وبكسب الرِّزق في الحياة، وبالقصاص والعلاقات الأسرية والتجارية، ومنها: تحريم الرِّبا، وفي حالات الحرب من جانب آخر، كأمثلة للمعاملات، ولا يتَّسع المجال هنا لذكر الآيات المؤيِّدة لهذه الأمور وغيرها بما يؤكِّد علىٰ الدَّور المحوري للتَّقوي في العقيدة الإسلامية، ومن ثمَّ ارتباطها بتعظيم الله من الجانب الوجداني.

وعاقبة التَّقوىٰ هي الجنة، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر].

لذلك دعا الله تعالىٰ المؤمنين بإتباع أقصىٰ درجات التَّقوىٰ، وذلك بأن يخافوا الله أشدّ الخوف بأن يطاع فلا يُعصي، ويشكر فلا يكفر بنعمته، ويذكر فلا يُنسىٰ. والحرص علىٰ الإسلام قبل مفاجأة الموت، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

وذكر المفسِّرون أنَّ هذه الآية شقَّت علىٰ المسلمين؛ لأنّها تحملهم أكثر من طاقتهم، ولهذا نزلت الآية: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن]؛ لتخفِّف عنهم بعد أن أجهدوا أنفسهم في العبادة، وأوضح الله صفات للمتقين عبر الإحسان والاستغفار من الذين تؤهلهم لدخول جنته الواسعة في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

(١) مصطلحات قرآنية (١٠٥).

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[آل عمران].

أمَّا الإحسان؛ فهو أعلىٰ مراتب الإيمان والتَّقوىٰ في عبادة الله تعالىٰ، وفي مجال المعاملات، حيث يُعني من جهة عبادة الله كأنَّك تراه، بينما هو يراك. ويُعني من جهة أخرىٰ التعامل مع الآخرين لدرجة الإيثار.

ومن ثمَّ يُعرف الإحسانُ في حسن التَّعامل بأنَّه مقابلة الخير بأكثر منه، ومقابلة الشَّرِّ بأقلّ منه. ويشمل العفو عند المقدرة، كما يُعرف من جانب آخر بأنَّه الإتقان والجودة في العمل والأداء، أي: إتقان العبادة لله تعالىٰ، وإتقان جميع الأعمال وفعل الخير، وهو نوعٌ من أنواع التَّراحم بين الناس، مثل الإنفاق، كما يشمل القول وردّ التَّحية بأحسن منها، وقد ربطه الله تعالىٰ بالعدل في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]، كما دعا الله تعالىٰ للإحسان في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[القصص: ٧٧].

وحدَّد الله تعالىٰ عدَّة مجالات للتَّعامل بالإحسان مع الآخرين في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[فُصِّلَت].

كذلك ربط الله تعالىٰ القوىٰ بالإحسان لعبادة الله تعالىٰ علىٰ أرضه الواسعة، كما جاء في قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر].

أمَّا جزاء الإحسان في الآخرة؛ فهو الجنَّة، وزيادة عليه رؤية الله تعالىٰ، كما جاء في عدد من الآيات، منها: قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل]، وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس]، فالحُسنىٰ في الآية هي الجنّة، والزِّيادة عليها هي النَّظر إلىٰ وجه الله الكريم، ممّا يستوجب

تعظيم الله تعالىٰ لبلوغ هذه الغاية السَّامية، وقد جاءت رؤية الله في الآخرة في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة].

العلم والحكمة في تعظيم الله في القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب علم من الله تعالىٰ لم تعرفه البشرية من قبل، ويتضمن الحكمة، أي: العلم النَّافع. ومن ثمَّ فهو يخاطب العقلَ داعيًا الإنسان إلىٰ التَّفكُّر والتَّعقُّل والتَّدبُر والتَّفقه، إضافةً لاستخدام حاستي السَّمع والبصر. ويحتل العلم مساحة واسعة من القرآن الكريم وهو صفة من صفات الله تعالىٰ (العليم) بجانب صفة (الحكيم).

والعلم في القرآن الكريم نوعان: هو العلم الشرعي، وهو لله تعالىٰ والعلم العقلي وهو لاجتهاد البشر، وكما هو معلوم فإن مصادر الإسلام الأساسية هي القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد فيما لم يرد به نص قاطع في الكتاب والسنة[(١)].

وقد منح الله تعالىٰ الحكمة للأنبياء ولمن يشاء من عباده، كما ورد في ذكر لقمان في القرآن الكريم، ودعا إلىٰ استخدام العقل، وعدم تعطيله للوصول إلىٰ الإيمان بالله وعبادته عن رضاء وقناعة، وذلك عبر المعرفة اليقينية، حيثُ وردت في القرآن الكريم أكثر من ثلاث مائة آية تدعو إلىٰ التَّفكُّر والتَّدبر[(٢)].

إن علم الله واسع، ولا حدود لكلماته، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [لقمان].

ومن ثمَّ قال تعالىٰ عن رسالة الرَّسول ﷺ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة].

وقد أكَّد الله تعالىٰ أنَّه قادر علىٰ كلِّ شيء، ومن ذلك: نسخ الأحكام، أو محوها من الذَّاكرة للإتيان بما هو أنفع للنَّاس منها عاجلًا أو آجلًا أو بمثيل لها في النَّفع، كما جاء في قوله

---

(١) انظر الدولة والنظام السياسي في الإسلام (٢٧-٣٤).

(٢) مصطلحات قرآنية (١٠١). انظر أيضًا حول الحكمة: كتاب التخطيط الحكيم منهج التخطيط في الإسلام (٢٣-٢٤، ٣٩).

تعالىٰ: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة].

ومن المعلوم أنَّ القرآن نزل علىٰ مدىٰ ثلاثة وعشرين عامًا ما بين مكة والمدينة، وتابع أحداث هذه المسيرة الطّويلة، وتجاوب معها بنزول الآيات في القرآن الكريم بما شاءت به حكمة الله تعالىٰ لمصلحة العباد.

ويخشىٰ الله بالغيب من العباد العلماءُ؛ لأنّهم يعرفون الله بصفاته وأفعاله، ويدركون دقَّة صنعه للكون وما فيه، فيعظِّمونه حقَّ التَّعظيم، وهو صاحب العِزَّة، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقد رفع الله تعالىٰ العلماء المؤمنين درجات عالية في المنزلة في الدُّنيا والآخرة لجمعهم بين العلم والعمل، وميَّز الله تعالىٰ بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وربط العلم بالتقوىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ولله غيب السماوات والأرض، وله مفاتيح الغيب الخمسة في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان]، كما أنَّه لا يعلم حقيقة الروح إلا الله تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

وممَّا يُذكر أنَّ أوَّل سورة نزل بها القرآن بدأت بكلمة (اقرأ)، وذُكر فيها (القلم)، وفي ذلك تعظيم بشأن الكتابة أداة العلم، قال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٥].

وبما أَّن القرآن الكريم هو كتاب علم، هدفه الوصول إلىٰ الحقائق عبر الدَّليل والبُرهان والحُجّة والمنطق= فإنَّ الله تعالىٰ قد أثبت وجودَه من خلال الإبداع في مخلوقاته في السَّماوات والأرض وما بينهما، كما أثبت أيضًا وحدانيته بأنَّه لو كان هناك آلهة غير الله لحدث التَّنازع حول الملك، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء]، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

كذلك لو حدث ذلك لاضطرب واختل نظام الكون في السَّماوات والأرض، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء].

كذلك طالب الله تعالىٰ المشركين بالبرهان إن كان هناك إله آخر في قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل]، وفي قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون].

من جانب آخر: تحدَّىٰ الله تعالىٰ الكُفَّار في عبادتهم للأصنام في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

كذلك تحدَّىٰ الله تعالىٰ اليهودَ والنَّصارىٰ بأن يأتوا بالبُرهان علىٰ مزاعمهم بدخول الجنَّة وحدهم دون غيرهم، في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

ردَّ الله تعالىٰ علىٰ اليهود والنصارىٰ في كذبهم بأنَّ لله ولدًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

وكذلك وصف الله -تعالىٰ- بالكفر النَّصارىٰ الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح، وأنَّ المسيح هو ابن الله، وإنَّ الله ثالث ثلاثة هم الأب والإبن والروح القُدُس، وجاء ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

وبجانب الأدلة العقلية في إثبات وجود الله ووحدانيته= وردت في القرآن الكريم أدلّة واقعية لإثبات قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ للبعث يوم القيامة، خلافًا لما كان يردِّده مشركو مكة بأنَّه لا حياة ولا بعث بعد الموت. فبعد أن تكرَّرت الآيات بربط إحياء الموتىٰ بإحياء الأرض بعد موتها بالأمطار والزَّرع، وأنَّ الله بقادر علىٰ أن يأتي بخلق جديد، وهو الذي خلق السَّماوات والأرض ولم يعي بخلقهن، وردت في القرآن الكريم أحداثٌ واقعيةٌ في الحياة الدُّنيوية لإحياء الموتىٰ من بني البشر ومن الحيوان والطّير وذلك علىٰ النحو التالي:

١- قصة موسىٰ مع بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

٢- قصة إحياء القتيل ليدلّ علىٰ قاتله في (سورة البقرة) في عهد موسىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

٣- قصة القوم الألوف الذين فروا من الموت: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة].

٤- قصة الذي مات مائة عام فأحياه الله وحماره: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].

٥- طلب إبراهيم من الله أن يريه كيف يحيي الموتىٰ ليطمئن قلبه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة].

٦- إحياء عيسىٰ للموتىٰ بإذن الله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ

وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران].

٧- نوم أهل الكهف ثم بعثهم: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف: ١١].

ويتَّضح ممّا سبق أنَّ العلم والحكمة مصدرهما الله تعالىٰ، وأنَّ له الحجة البالغة، والقدرة علىٰ بعث الموتىٰ، فهو أحقُّ بالتَّعظيم وعلينا أن نقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

كذلك تجدر الإشارة هنا إلىٰ أنَّ الله تعالىٰ هو المدبِّر لأمور الكون بعلمه وحكمته، وقد وصف هنا التدبير في بعض الآيات بالمكر الذي يختلف تمامًا عن مكر البشر الذي فيه تدبير بالخفاء لفعل السُّوء بينما مكر الله يبطل مكر الكافرين.

إبداعات الخلق في تعظيم الله تعالى

تدلُّ إبداعات الله في الخلق علىٰ قدرات الله تعالىٰ الواسعة واللا محدودة، والتي تؤكِّد علىٰ عظمته. وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلىٰ هذه القدرات وإلىٰ سيادة الله علىٰ الكون، فهو بيده (الخلق والأمر)، وهو (فعَّال لما يريد)، وهو (القاهر فوق عباده)، وفوق ذلك فإنَّ أمره بكلمة (كن)، كما ورد في عدد من الآيات منها قوله تعالىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل]، وقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر].

وقد حدث في الجانب الواقعي خلقه لآدم وعيسىٰ بن مريم عليهما السلام كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران]، ورُدَّ علىٰ مريم في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران]، وجاء ذلك بعد أن بشرت الملائكة مريم: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وجاء المعني نفسه في كلمة (كن) في قصّة زكريا وميلاد ابنه يحيي في قوله تعالىٰ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا

مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران]، وفي قصة إبراهيم أمر الله تعالىٰ النار بألا تحرق جسد إبراهيم في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

أمَّا آيات إبداعات الخلق؛ فهي متعدِّدة ومنتشرة في معظم أجزاء القرآن الكريم، ويخاطب بها الله تعالىٰ العقلَ من خلال عدَّة مصطلحات ترتبط بالعقل وبحاستي السمع والبصر ممثَّلة في (يتفكرون، ويعقلون، ويفقهون، ويتدبرون، ويتذكرون، ويسمعون، ويبصرون، وينظرون) وذلك إضافة لمصطلح (أولي الألباب).

والهدف من هذه الآيات التَّدبر في مخلوقات الله تعالىٰ في السَّموات والأرض وما بينهما للوصول من ذلك إلىٰ الإيمان بوجود الخالق المبدع، ومن ثمَّ عبادته عن رضًا وقناعة وإخلاص في الدُّنيا من أجل العبور الآمن من الدُّنيا الفانية إلىٰ الدَّار الآخرة الباقية بهدف الحصول علىٰ رضا الله، وبلوغ النَّعيم المقيم في الجنَّة.

ومن آيات إبداعات الخلق قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد].

ومن آيات الإبداع أيضًا قوله تعالىٰ في خلق الإنسان وإحياء الموتي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج].

وقوله تعالىٰ أيضا في تفصيل خلق الجنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

وقوله تعالىٰ في الخلق: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزُّمَر].

وقوله تعالىٰ في قدرته علىٰ البعث بجمع العظام وإعادة الأصابع وبصماتها كما كانت: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة].

وقوله تعالىٰ حول الأحياء من المخلوقات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

كذلك من إبداعات الخلق في الإنسان وزوجه والجمادات، وما سخره من مخلوقات للبشر إلىٰ يوم البعث قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم].

وتجلَّت أيضًا آيات إبداعات الخلق بصورة بليغة في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ [يس].

كذلك فصَّلت آياتُ الإبداع خلقَ السَّماوات والأرض وما فيهما في ستَّة أيَّام في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فُصِّلَت].

ولا شكَّ إنَّه كان بمقدور الله تعالىٰ أن يُتمَّ هذا الخلق دفعة واحدة بكلمة (كن) بدلًا عن ستَّة أيام، إلَّا أنَّه لحكمته أراد تعليم البشر عدم الاستعجال في إنجاز الأمور، والتَّدرج عبر المراحل للوصول إلىٰ الهدف والبناء الكامل للمستقبل[١]، وحتىٰ يكون التخطيط في إعجاز الأمور دقيقًا، ويأتي بالنَّتائج والأهداف المرجوة عبر المراحل الزمنية المطلوبة، وهو ما سُمِّي بـ (التَّخطيط الحكيم-منهج التَّخطيط في الإسلام)، ويهدف للمستقبل[٢]، وقد بيَّن الله تعالىٰ في خلق السَّماوات والأرض وما بينهما أنَّه لم يمسَّه إعياءٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف].

وبالإضافة لما سبق فإن هناك العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلىٰ إبداعات الله تعالىٰ في الخلق لا يتسع المجال لذكرها ويكفي أن نشير إلىٰ بعض منها للتأكيد علىٰ تعظيم الله تعالىٰ في قدراته وإبداعات مخلوقاته، قال تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورىٰ]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء]، وقال

(١) انظر: التخطيط الاستراتيجي في الإسلام وتطبيقاته في المؤسسات التربوية.

(٢) التخطيط الحكيم – منهج التخطيط في الإسلام.

تعالىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غافر]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[فاطر]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[الأنبياء].

ونلاحظ في الخلاصة أنَّ غاية هذه الآيات هو الإيمان بأنَّ الله هو الحقّ، وأنَّ القرآن وما جاء فيه هو الحقّ، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٥٣].

ولا شكَّ أن كل هذه الآيات التي تدل علىٰ قدرات الله تعالىٰ وإبداعاته في الخلق تدعو إلىٰ تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ وهي آيات تدل علىٰ الإعجاز العلمي والمنطقي في القرآن الكريم(١).

الأمثال وأساليب التشريع في تعظيم الله تعالىٰ:

الأمثال هي أحد مناهج القرآن الكريم في مخاطبة العقول للدَّعوة إلىٰ الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وتوحيد العبادة لله تعالىٰ، ومن ثمَّ تعظيمه، وهو من أساليب البلاغة في اللغة العربية. ولهذا نجد أن القرآن الكريم يزخر بالعديد من الأمثال في شتَّىٰ المجالات مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[الروم: ٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾[الكهف].

وفي الأمثال دعوة للتَّفكُّر والتَّدبُّر، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]. والمراد في هذه الآية التمثيل بقساوة قلب الإنسان، وترك الخشوع عند سماع القرآن.

والملاحظ أنَّ الآيات التي تلت هذه الآية تضمنت سبعة عشر اسمًا من أسماء الله الحسنىٰ بدأت باسم (الله)، وانتهت باسم (المصوِّر) بحسب التَّرتيب في الحديث الشَّريف الذي رواه أبو هريرة، وأضيفت لها في نهاية السورة صفتا (العزيز الحكيم)(٢).

---

(١) انظر الإعجاز القرآني-محمد عادل القلقيلي، والإعجاز المنطقي في القرآن الكريم-زكريا بشير إمام، ونظريات الإعجاز في القرآن الكريم-جمال الدين عبد العزيز شريف.

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ =

ويمكننا أن نرصد أبرز الأمثال -وبحسب موضوعاتها- علىٰ النحو التالي:

١- الحقُّ والباطل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد].

٢- الحياة الدُّنيا وزوالها: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس].

٣- الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

٤- القرية الآمنة والقرية الكافرة بأنعم الله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

٥- نور الله والهداية: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور].

٦- آلهة المشركين وخلق الذباب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج].

ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر]، وحديث أبي هريرة حديثٌ ضعيفٌ؛ أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وغيره، قال التّرمذيُّ: «وليس له إسنادٌ صحيح».

٧- أولياء المشركين وبيت العنكبوت: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

٨- أعمال الكفار: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم].

ومن أمثال القرآن أيضًا: ما فيه مقارنة بين طرفين أو فريقين هما الكفار والمؤمنين لتوضيح الاختلاف بينهما لترجيح كفة المؤمنين على الكفار، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود]، وقوله تعالى في المقارنة بين مصير امرأتي نوح ولوط من جهة وامرأة فرعون ومريم ابنة عمران من جهة أخرى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

ومن الأساليب القرآنية الأخرى التي تدلّ على عظمة الله في الإعجاز البياني والاستدلالي بجانب الإعجاز العلمي الذي ذكر سابقًا: أسلوب السُّؤال، ممَّا يدعو إلى تعظيم الله سبحانه وتعالى كما ورد في آيات الإقناع. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في شأن العلماء: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المُلك]، وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة]، وقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس]، ورد الله تعالى على منكر البعث بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس].

وجاءت صيغ أخرى للسُّؤال من الله تعالى في الدَّعوة للتَّفكُّر والتَّدبُّر من أجل توحيد العبادة لله تعالى، والإقرار بقدراته في الخلق، مثال ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ [النمل].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ۞ [القصص].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ۞ [الروم].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ۞ [الواقعة].

كذلك جاءت في القرآن الكريم صيغة (يسألونك) للنَّبيِّ ﷺ، والرَّدّ عليها عبر التّشريعات الإلهية في مجال العبادات والمعاملات. ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ

هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ [البقرة]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [البقرة]، وفي قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة].

ومن الصيغ الأخرىٰ في القرآن الكريم في مجال فرض التَّشريعات الإلهية في العبادات والمعاملات صيغة (كُتِب عليكم)، ففي مجال العبادات جاء قوله تعالىٰ في الصَّوم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة].

وفي مجال الجهاد جاء قوله تعالىٰ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة].

وفي مجال تشريع القصاص جاء قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

وفي مجال تشريع الوصية عن الموت يقول الحقِّ -عزَّ وجلَّ-: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة].

ونأتي في النِّهاية في الأساليب القرآنية في مجال التشريعات الإلهية= إلىٰ صيغة التي تعني محظورات الله في حرماته، وهي الصِّيغة العامَّة التي تشمل كلّ شريعة الإسلام في العبادات والمعاملات، وليس فقط العقوبات الحَدِّية المعروفة، والتي تتمثَّل مقاصدها في حماية النَّفس والمال والعرض والعقل والدِّين، من أجل أمن واستقرار حياة الفرد والجماعة. فحدود الله تشمل أيضًا مجالات العبادة، والتَّعامل بالأموال، والعلاقات الأسرية، كحالات الزَّواج

والطلاق وحالات الوفاة والميراث وغيرها، ومن أمثلة الآيات القرآنية التي أشارت إلىٰ حدود الله: قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ في أمور الزَّواج والطَّلاق: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة].

وقد ركَّزت (سورة النِّساء) منذ بدايتها علىٰ الزَّوجية وحقوق اليتامىٰ ووصية وقسمة الميراث بتفاصيلها، حيثُ انتهت بعد ذلك إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

وتؤكِّد هاتان الآيتان علىٰ ارتباط حدود الله بطاعة الله والرَّسول ﷺ، وأنَّ هذه الطَّاعة لازمة لدخول الجنَّة، ومن يخالفها فمصيره النَّار والعذاب المهين، كما أنّها طاعة عامَّة لكلّ الأوامر والنَّواهي الإلهية والنَّبوية في كلِّ أمور العبادات والمعاملات. ولا شكَّ أنَّ كلَّ الأساليب القرآنية السَّابقة الذِّكر تؤكِّد علىٰ عظمة الخالق -عزَّ وجلَّ-، وعلىٰ سمو تشريعاته لخير البشرية في الحياة الدُّنيوية تمهيدًا للعبور الآمن إلىٰ الدَّار الآخرة وهو الأمر الذي يدعو إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ من خلال تدبُّر القرآن الكريم.

تعظيم الله تعالى بذكره ومحبته ورضاه

بعد التطرق للمحاور السابقة المختلفة التي تستوجب تعظيم الله تعالىٰ نصل إلىٰ الكيفية التي يتم بها تعظيم الله ومن ثم الوصول إلىٰ الغاية النهائية وهي محبة الله وكسب رضاه من أجل الوصول إلىٰ جنات النعيم في الدارة الآخرة، وتتمثل هذه الكيفية في ذكر الله تعالىٰ

بالوسائل المختلفة من خلال ألفاظ اللسان وقراءة القرآن وإقامة شعائر الله في العبادات وعلىٰ رأسها الصلاة وما يتصل بها من الدعاء. ومن المهم أن يرتبط ذكر الله تعالىٰ بشكره علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ ولا تعد لتجنب كفر النعمة.

ويبدأ ذكر الله بالأسماء الحسنىٰ التي وردت في القرآن الكريم، وهي صفات الكمال لله تعالىٰ، ولا بدَّ أن يتمّ دعاء الله بها كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].

وفي ذكر الله بعد الإيمان طمأنينةٌ للقلوب لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]. وكذلك يرتبط ذلك الله بالسَّجود والتَّسبيح كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان]، وقوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

وقد ورد ذكر الله تعالىٰ أيضًا في مصطلح (الباقيات الصالحات) في بعض التفاسير، فبجانب أن المصطلح يعني أعمال الخير الباقية المثمرة وهي أفضل ثوابا وأجدىٰ عائدا لأهلها وخير ما يرجوه الإنسان العاقل عند الله من السعادة، فقد قيل: إنّ المصطلح يتضمن ذكر الله بألفاظ اللسان من خلال عبارات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد ورد المصطلح في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم]، ويرتبط ذكر الله بشكره كما جاء في قوله تعالي: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

كذلك يرتبط ذكر الله تعالىٰ بالاستغفار كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

ومن ذكر الله أيضًا: الصَّلاة علىٰ النَّبيِّ ﷺ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، وبذلك يجتمع الثَّناء علىٰ النَّبيِّ ﷺ من أهل الأرض والسَّماء.

أمَّا قراءة القرآن؛ فهي ذات أهمية خاصة لتعظيم الله تعالىٰ، فقد وصف الله تعالىٰ القرآن بالذكر في قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر].

وارتبطت قراءة القرآن بالصَّلوات المفروضة والتَّهجد والنَّوافل، وخصَّ الله تعالىٰ قرآن الفجر في قوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء]، كما أنَّ رمضان هو شهر الصِّيام والقيام، وقد نزل فيه القرآن الكريم وفيه ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر.

ولقد يسَّر لنا الله لنا قراءة القرآن للتَّدبُّر والاتِّعاظ، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]. كما أمر الله تعالىٰ بقراءة ما تيسَّر من القرآن، وذلك للتَّخفيف نظرًا لأحوال النَّاس وأوضاعهم في حياتهم الدُّنيوية، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزَّمل].

وكذلك دعا الله تعالىٰ إلىٰ الإنصات عند قراءة القرآن، وإلىٰ ذكر الله بالدُّعاء تذلُّلًا وخوفًا، مع التَّوسط في الذِّكر دون الجهر في الصَّباح والمساء، وتجنب الغفلة كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف].

وفي مجال إقامة الشَّعائر في العبادات، وعلىٰ رأسها الصَّلاة التي هي صلة العبد بربِّه وعماد الدِّين، وتميّز بين المسلم والكافر، وهي أوّل ما يسأل عنه المرء يوم القيامة، يقول الله تعالىٰ في حالتي صلاة الخوف والأمان: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ

﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ [البقرة].

وفي ذكر الله تعالىٰ في مناسك الحجِّ يقول الحقُّ -عزَّ وجلَّ-: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ [البقرة].

ولا شكَّ أنَّ شعائر العبادات من صلاة وحجٍّ ترتبط بتقوىٰ القلوب، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ [الحج].

وترتبط شعائر الصَّلاة بالدُّعاء الذي يوصف بأنَّه مخُّ العبادة، كما جاء في الحديث الشَّريف، وأقرب ما يكون المرءُ لربِّه عند السُّجود، حيثُ يتمُّ الدُّعاء والاستجابة، وقد استجاب الله تعالىٰ لدعوات جميع الأنبياء منذ نوح وإلىٰ محمَّد ﷺ. ويدعو الله سبحانه وتعالىٰ النَّاس للدُّعاء والابتعاد عن التَّكبر، حتىٰ يستجيب لهم وهو قريبٌ منهم، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر]، وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة].

إنَّ ذكر الله تعالىٰ بصوره المختلفة السَّالفة الذِّكر يؤدِّي إلىٰ محبَّة الله -عزَّ وجلَّ-، وتؤدِّي هذه المحبَّة بدورها إلىٰ الغاية النِّهائية للمؤمنين وهي رضا الله تعالىٰ المؤدِّي إلىٰ جنَّات النَّعيم في الدَّار الآخرة.

وقد ربط المولىٰ -عزَّ وجلَّ- الإيمانَ بحبِّ الله، أي: حبُّ المؤمنين لله، فهم أشدُّ حبًّا لله من حبِّ المشركين لأوثانهم وأندادهم، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال الرسول ﷺ

لليهود: إن كنتم تحبُّون الله كما تزعمون؛ فاتبعوني علىٰ الإسلام يحببكم الله، ويغفر لكم ذنوبكم؛ لأنَّ المحبة تقتضي اتِّباع الرَّسول ﷺ، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وقد وصف الله تعالىٰ القوم الذين (يحبُّهم ويحبُّونه)، وهم المؤمنون الذين يخلصون لله العمل، ويطيعونه= بأنّهم متواضعون لإخوانهم المؤمنين، وأشداء علىٰ الكفار، يقاتلون لإعلاء كلمة الله، ولا يخافون لومة لائمة في نصرة دينهم، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

وجاء في فضل الجهاد أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

والملاحظ في محبة الله تعالىٰ توضيحه للنَّاس في العديد من الآيات بما (يحبّ) وما (لا يحبّ)، وهي أحد الصِّيغ القرآنية البيانية المتميِّزة، ففي مجال ما (يحبّ) جاء قوله تعالىٰ عن الإحسان في حالة الحرب كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

وفي مجال الحكم بالعدل يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَإِن حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال في غير الحربي من الكفّار: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة]، وقال في مجال القتال في سبيل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

وفي مجال التَّقوىٰ يقول تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران]. وفي مجال الصبر يقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

أما الآيات التي تنصُّ علىٰ أنَّ الله (لا يحبّ)؛ فهي متعدِّدة، وتشير عامَّةً إلىٰ الفساد وإلىٰ المعتدين، الكافرين، الظالمين، المسرفين، الخائنين، كل كفار أثيم، خوان أثيم، خوان كفور، مختال فخور.

إنَّ محبَّة الله تعالىٰ بالضَّرورة في المقابل رضا الله تعالىٰ من المؤمنين المخلصين المحبين لله. ولا شكَّ أنَّ السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار هم أوَّل من رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدَّ لهم الله تعالىٰ جنَّات الخلد، وكذلك الحال بالنِّسبة لمن اتَّبعوهم بإحسان، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. ولا شكَّ أنَّ الاتِّباع يتضمن الإيمانَ والتَّقوىٰ والطَّاعة لله والرَّسول ﷺ ونصرة الدِّين والإنفاق. والملاحظ في الآية ذكر (جنَّات) تجري تحتها الأنهار، وليس (من تحتها الأنهار)، كما في آيات القرآن الكريم الأخرىٰ، وهذا تمييزٌ للصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، وبُشرىٰ لهم بالخلود في الجنة.

وقد أكَّد القرآن الكريم أنَّ بعض النَّاس يبيع نفسَه في مرضاة الله، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

وقد أنزلت الآية في صهيب بن سنان الرومي لتخليه عن ماله بمكَّة من أجل الهجرة إلىٰ المدينة، حيثُ قال الرَّسول ﷺ: «رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَىٰ، رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَىٰ»(١).

وفي مجال إنفاق المال من أجل مرضاة الله جاء قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة]، وهو مَثَلٌ حيٌّ يؤكِّد مضاعفة الأجر العظيم في الآخرة عبر أعمال الصَّدقات والمعروف والإصلاح بين النَّاس (وهذا يشمل جميع أعمال البرِّ)، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

---

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة (بُغية الباحث: ٦٧٩)، والطبراني (٧٢٩٦)، والحاكم (٥٧٠٦)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وقد بيَّن الخالق -عزَّ وجلَّ- أنَّ الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ في إيمانهم، وعملوا بما أمر الله به من صالح الأعمال= أولئك أفضل الخلق حالًا ومآلًا، وثوابهم يوم القيامة بجنات خلود تُسمَّىٰ عدن، رضي الله عنهم فأحسن ثوابهم، وذلك لمن خاف مقام ربِّه بالتَّقوىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البيِّنة].

ومن ثمَّ فإنَّ الصَّادقين في إيمانهم في الدُّنيا يرضي الله عنهم بما عملوا من الطَّاعات الخالصة له يوم القيامة، ورضوا عنه بالثَّواب الذي جازاهم به، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩﴾ [المائدة].

وأخيرًا؛ يقال للنَّفس المؤمنة عند الموت: يا أيّتها النَّفس المتيقِنة عند الله بعملك الصالح، فادخلي في زمرة عبادي المقربين، وادخلي جنتي الواسعة معهم، كما جاء في قول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر].

وبذلك تصل النفس المطمئنة عند المؤمن إلىٰ حسن الخاتمة بفضل تعظيم الله تعالىٰ، وكسب محبته ورضاه.

الخاتمة

كرَّم الله تعالىٰ الإنسان، وميّزه بالعقل علىٰ سائر المخلوقات بعد أن خلق آدم بكلمة (كن) من تراب، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة سجود تحيّة وتكريم، وعلَّمه الأسماء كلّها، وجعله خليفته في الأرض، وسخَّر له الكون وما فيه للعبادة وللإعمار، ومن ثمّ تحمَّل الإنسان (الأمانة)، وهي أمانة التَّكليف والطاعة وحرية الاختيار التي عُرِضت علىٰ السَّماوات والأرض والجبال، فامتنعن عن حملها، وأشفقن منها، وحملها الإنسانُ من ذريَّة آدم ممّا استوجب عليه القيام بمتطلباتها، وعلىٰ رأسها: تعظيم الله الخالق -عزَّ وجلَّ-، وذلك عملًا بما جاء في هدايات القرآن الكريم من أجل الحصول علىٰ محبّة الله ورضوانه.

ومن ثم اهتمت الورقة بتدبّر آيات القرآن الكريم الدَّالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، ومحبّته عبر النماذج القرآنية المختلفة بعد التَّعريف بمفاهيم التَّعظيم في أسماء الله الحسنىٰ التي تكرَّرت في القرآن الكريم، وتمثَّلت في أسماء العظيم والعزيز والقوي والعليم والحكيم ومالك الملك والسميع والبصير، وتحديد معانيها ومواقعها في الآيات القرآنية، وتوصلت الورقة في النتائج إلىٰ الجوانب التَّالية في تعظيم الله تعالىٰ:

١- العقيدة في القرآن الكريم وما تتضمنه من الدّعوة إلىٰ (الصّراط المستقيم) في توحيد العبادة لله وحده لا شريك له، ومن ثمّ تعظيمه من خلال معاني الإيمان والتقوىٰ والإحسان، وهو ما يمثّل الجانب الوجداني الداخلي.

٢- العلم والحكمة في القرآن الكريم، وما تشمله من تأكيدٍ لعلم الله الواسع الذي لا حدود له، وحكمته. وعلىٰ اعتبار أنَّ القرآن الكريم هو كتاب علم لم تعرفه البشرية من قبلُ، وأنَّه يخاطب العقل، ويدعو للتَّفكُّر والتَّدبُّر ممَّا يستوجب تعظيم الله تعالىٰ علىٰ ما ورد من أدلة وشواهد وبراهين ربانية، وهو ما يمثِّل الجانب العلمي النَّظري والتَّجريبي.

٣- إبداعات الخلق في القرآن الكريم من خلال الآيات العديدة الدَّالَّة علىٰ إبداعات الله تعالىٰ في خلق السَّماوات والأرض وما بينهما، وما في الكون من مخلوقات أحياء، وجمادات سخَّرها الله تعالىٰ للإنسان بالإضافة من جانب آخر إلىٰ قدرات الله الواسعة في تدبيره لأمر الكون بما يشاء، وبكلمة (كن). ممّا يدعو إلىٰ تعظيم الله تعالىٰ علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ ولا تعد، وهو ما يمثِّل ما يُعرف بالإعجاز العلمي الذي لم تعرف البشريةُ بعضَ مكوناته العلمية، إلَّا في العلم الحديث والمعاصر.

٤- التَّشريعات الإلهية في القرآن الكريم جاءت في الآيات بأساليب ونماذج مختلفة، وذلك عبر السُّؤال والجواب والمقارنة. وفي الفرض في لفظ (كُتِب عليكم)، وفي حدود الله في مجالات العبادات والمعاملات، وكلّها من أجل إخلاص العبادة لله الخالق -عزَّ وجلَّ-، ولخير الحياة البشرية الآمنة في الدُّنيا كدار عبور آمن نحو الدَّار الآخرة، ممّا يستوجب تعظيم الله تعالىٰ، وهو ما يمثِّل جانب تعدُّد الأساليب والنَّماذج البيانية والبلاغية في التَّشريعات بلغة وصيغ يعجز العقل البشري عن الإتيان بمثلها.

٥- الذِّكر ومحبّة ورضا الله في القرآن الكريم تمثِّل معًا معاني مترابطة للوصول إلىٰ الغاية النِّهائية. فذكر الله تعالىٰ، وشكره علىٰ نعمه بالصِّيغ المختلفة= يُعبِّر عن كيفية تعظيم الله تعالىٰ في التطبيق العملي، ويؤدِّي هذا الذِّكر إلىٰ محبَّة الله، ومن ثمّ رضوانه من خلال الإيمان الخالص والأعمال الصالحة، وصولًا إلىٰ العناية النِّهائية، وهي كسب رضوان الله تعالىٰ، ودخول جنَّات الخلد.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم –الموسوعة القرآنية الميسرة، وهبة الزحيلي وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٢م.

٢- القرآن الكريم، زبدة البيان، تفسير مفردات القرآن، الشيخ حسنين محمد مخلوف، دار الجزء، دمشق، ط ٥، بدون تاريخ.

٣- السنة النبوية.

٤- الإعجاز القرآني، محمد عادل القلقيلي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

٥- الإعجاز المنطقي في القرآن الكريم، زكريا بشير إمام، مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ٢٠١٥م.

٦- التخطيط الحكيم – نهج التخطيط في الإسلام، محمد حسين أبو صالح، مركز أم درمان الثقافي، ٢٠١٦م.

٧- التخطيط الاستراتيجي في الإسلام وتطبيقاته في المؤسسات التربوية، أحمد محمد الجارحي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، طبعة ٢٠١٧م – ٢٠١٨م.

٨- الدولة والنظام السياسي في الإسلام، حسن سيد سليمان، الدار العالمية للنشر، الخرطوم، ١٩٩٥م.

٩- كتاب الله في إعجازه يتجلىٰ، غسان حدون، مركز عبادي، صنعاء، ٢٠٠٢م

١٠- مصطلحات قرآنية، صالح عضيمة، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، دار النصر، بيروت، ١٩٩٤م.

١١- معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، عبد العزيز مصطفىٰ كامل، سلسلة كتاب البيان، الرياض، ط ٥، ٢٠٠٨م.

١٢- نظريات الإعجاز في القرآن الكريم، جمال الدين عبد العزيز شريف، معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، مدني، بدون تاريخ.